

مصر العربية*

قبل الدخول في الكلام عن تاريخ علاقات العرب بوادي النيل. لابد من الإشارة إلى تاريخ كل من مصر والجزيرة العربية من بدايته.

لقد كانت مراجع تاريخ مصر والأقطار العربية الأخرى وحتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي تقتصر على ما كتبه مؤرخو وجغرافيو الإغريق، أمثال : هيرودوت، سترابون، ديدورس، بالنسبة للتاريخ، ثم اكسفون، هيكاتيسوس، بطليموس، بالنسبة للجغرافيا، يليه ما كتبه المؤرخون العرب، أمثال : الطبري، المسعودي، ابن خلدون، ابن الأثير. بالنسبة للتاريخ، ثم الاضطخري الإدريسي، ابن حوقل، المقدسي وغيرهم بالنسبة للجغرافيا.

وفيما بين العشرينات والستينات من القرن التاسع عشر اكتشف فرانسو شمبليون (١٨٢٩) الأبجدية الهيروغليفية في مصر، وفريد رودغير (١٨٣٨) أبجدية المسند (قلم الجزيرة العربية القديم)، وهنري رولنسون (١٨٧٠) الأبجدية المسمارية «قلم سومر وبابل وآشور» ، ومن ثم أخذت بحوث التاريخ والجغرافيا تتجه اتجاهاً ايقرافياً يعتمد على المعلومات الباليوغرافية والاركيولوجية (الكتابات الآثار) وذلك بالنسبة لتاريخ وجغرافيا ما قبل الإسلام.

وقد أفصحت البحوث الابيقرافية التاريخية والجغرافية واللغوية التي قام بها : هومل، موسكاتي، جروهمان، البرايت، السير فلندرزيتري (صاحب المؤلفات العديدة عن تاريخ مصر وحضارتها) سليم حسن، نجيب ميخائيل، عبد العزيز صالح، الدكتور أحمد فخري، الدكتور عبد المنعم عبد الحلیم،

(٥) نشر بجزيرة العدد ٤٥٣٧ في ٢٧ / ٦ / ١٤٠٠هـ

الدكتور جمال حمدان، بأن مصر كانت تربطها بجزيرة العرب روابط متينة، تاريخية وحضارية وأسرية، فعن طريق (سيناء) هاجرت إلى مصر موجات عربية كثيفة، كان منها الكاسيون والسوريون الذين سماوا في مصر بالهكسوس، والذين حكموها في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد.

وعن طريق (سيناء) أيضاً، امتزجت ثقافة بلاد ما بين النهرين بوادي النيل وانصهرت الأبجدية الأكديّة المسمارية التصويرية بالأبجدية المصرية الهيروغليفية التصويرية وتمخض من الأبجديتين في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد الأبجدية الحرفية البروتوسينائية، التي كانت النواة الأولى للأبجدية (الحرفية) العالمية، فمنها تفرع الخط الفينيقي ومشتقاته: العربي القديم، العبري، الحبشي، الهندي، الآرامي، في الشرق، ثم الإغريقي ومشتقاته: اليوناني القديم والمتوسط والمتأخر وهو اللاتيني.

وبواسطة موانئ مصر على البحر الأحمر، وأهمها (القُصير) المعروف عند المؤرخين العرب باسم (عيزاب) هاجرت من جنوب جزيرة العرب موجات أخرى حاملة البخور ومعبودات اليمن القديمة، كالشمس والقمر والنسر وعثر، التي عبدها المصريون تحت أسماء مختلفة مثل: راع، مين، حور، ومن دروب القصير الذي ينتهي بـ(قُفُط) على الضفة الشرقية للنيل وهو الطريق المقدس عند الفراعنة إذ يسمونه بـدرب الآلهة، جاء المصريون القدامى كما وورد في نقوشهم، وكما نص على ذلك المؤرخ الدكتور عبد المنعم عبد الحلیم في كتابه (تاريخ الصلات والمؤثرات الحضارية بين حضارة مصر والبحر الأحمر) (١).

وإلى جانب خريطتي بطليموس وبيهايم اللتين طبعتا سنة ١٤٤٢م و ١٤٩٢م وهما أهم مراجع الجغرافيين اليونان، وخريطتي الإدريسي والإصطخري وهما أهم مراجع الجغرافيين العرب، وكلها تصور مصر وجزيرة العرب قطعة واحدة، فإن هيروودوت المؤرخ اليوناني الشهير (٥٠٠ ق. م) اعتبر سيناء والأرض الواقعة بين سواحل البحر الأحمر ونهر النيل ضمن جزيرة العرب (٢).

ومن الأماكن التي نزل فيها العرب الشماليون قبل الإسلام وادي الحمامات والقيوم وقفت، ويروى عن سترابون المؤرخ اليوناني الشهير (القرن الأول للميلاد) أن (قفط) كانت في عصره تحت حكم العرب وأن نصف سكانها حينذاك كانوا عرباً⁽³⁾. وإلى قفط ينسب علي بن يوسف الشيباني القفطي، وأصله من شيبان القبيلة العربية الشهيرة، صاحب الكتاب المعروف ب (إخبار العلماء باخبار الحكماء) و (انباء الرواة) وغيرها من كتب التاريخ واللغة وتراجم العلماء والأدباء. و (قفط) مدينة معروفة بمحافظة (قنا) وقد زرتها سنة ١٣٨٦هـ وشاهدت خرائبها الرومانية ويوصلها بسفاجة ميناء مصر على البحر الأحمر طريق طويل معبد.

هذه لمحة يسيرة عن تاريخ مصر العربية قبل الإسلام، ومن اراد معلومات اوسع فليرجع إلى الكتب التالية أسماؤها :

مصر القديمة لسليم حسن، الحضارة السامية لموسكاتي، مصر والشرق الأدنى القديم لنجيب ميخائيل، التاريخ العربي القديم لجروهمان، تأريخ مصر والشرق القديم لأحمد فخري، تاريخ اللغة العربية في مصر لأحمد مختار، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي لمصطفى العبادي، شخصية مصر لجمال حمدان، عروبة مصر من قبائلها لمصطفى كامل الشريف، تأريخ مصر واثارها إصدار وزارة الثقافة المصرية، تاريخ الصلات والمؤثرات الحضارية بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات البحر الأحمر لعبد المنعم عبد الحلیم.

أما علاقات جزيرة العرب بمصر في الإسلام فالأصل أوثق، والأواصر أمتن، فما إن قدم القائد الإسلامي عمرو بن العاص إلى مصر التي هو نفسه كان قد زارها وعرفها من قبل، حتى استجاب المصريون لصوته واعتنقوا الإسلام زرافات ووحداناً، فكان دخول الإسلام إلى مصر عاملاً آخر لهجرات عربية كبيرة أخرى، ذكرها الطبري في تاريخه، والزبيدي في تاج

العروس، والمقريري في كتابيه : (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) و
(البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب) وغيرها.

ويذكر المقريري أن قبيلة بليي قد هاجرت إلى مصر عن بكرة أبيها بأمر
الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقد نزلت في منف وطرابيه^(٤)
ونزلت أيام الفتح وبعده قبائل من أسلم في الفيوم وإثريب، ونزل في
صعيد مصر قبائل بهراء ووائل^(٥) . وهاجرت لحم وجذام فنزلت في الفيوم
والبهنساء وبوصير^(٦) وفي بهنساء والقيس بمديرية المنيا حالياً، نزلت قبائل
من خولان^(٧) ورحل إلى مصر من كندة خلق كثير نزلوا في بيا وعين
شمس وإثريب، وسموا بالحضارم^(٨) وإيهم ينسب الكثير من علماء مصر
وقضاةها، ورحل إلى مصر فريق من قبيلة تجيب، ومن مشاهيرهم حرملة بن
عمرو التجيبي صاحب الإمام الشافعي المتوفي سنة ٢٤٦هـ روى عنه الإمام
مسلم، ومنهم كنانة بن بشير التجيبي أحد قنتة الخليفة عثمان بن عفان
رضي الله عنه، وإليه أشار الوليد بن عقبة في رثائه لخليفة عثمان بقوله:

ألا إن خبر الناس بعد ثلاثة
قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

إننا لو أمعنا النظر فيما كتبه الأوائل كالأصمعي ولغدة الإصفهاني
والهمداني عن مساكن العرب ومياهم وديارهم، ثم أمعنا النظر ثانية في
مالايكاد يخصى من آثار القرى والمدن المنبثة في كل مكان من نجد والحجاز
واليمن، ثم قارنا هذا وذلك بما كتبه الكاتبون عن عرب الجزيرة خارجها،
كالمقريري وأبو الفدا، وابن خرداذبه وغيرهم، لوجدنا أنهم لم يذكروا من
مهاجر تلك القبائل إلا القليل جداً، وأن خلائق لا يعلم حصرها إلا الله قد
هجرت أرضها من بعد الأزمنة المطيرة، وحتى أيام الفتح وبعده، بل وإلى
ماقبل ثلث قرن تقريباً، منتجة مواطن الرزق على طريق التجارة والمدن
وشواطئ الأنهر.

ويقول الدكتور جمال حمدان في كتابه (مصر في شخصيتها) ، مالفظه: (وكان تعريب مصر بعد أن جاء العرب المسلمون إلى أرض الكنانة يحملون راية الإسلام على أيام الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأمنت مصر برها الواحد الأحد، واعتنقت ديانة الإسلام الخالدة ونطقت بالعربية لغة القرآن حين حدث ذلك، والتقى العرب بالمصريين وتصاهروا واختلطت دماؤهم، لم يكن ذلك في الحقيقة إلا لقاء أبناء عمومة وأخوة المهجر أو هو كان لقاء آباء بأبناء.. أو أجداد بأحفاد.. وعاد العرب ليعطوا أبوة جديدة، فالعلاقات الدموية إذاً متبادلة على التعاقب والتناوب، وهي علاقة دائرية أكثر منها خطية الكل فيها أب وابن على التوالي، والكل فيها مضاف ومضاف إليه^(٩) .

-
- ١ - صفحة ٣٥ الطبعة الأولى
 - ٢ - أنظر كتاب هيردوت يتحدث عن نفسه : المقدمة للأستاذ أحمد بدوي.
 - ٣ - البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقرئزي : ص ١٠٦ الطبعة الأولى.
 - ٤ - نفس المصدر : ص ٩٧
 - ٥ - نفس المصدر
 - ٦ - نفس المصدر : ص ٩٥
 - ٧ - نفس المصدر : ص ٩٧ ، ٩٨
 - ٨ - نفس المصدر
 - ٩ - ص ١١٢